طموح الى حياة افضل ، او تظهر على احدهم علائم النبوغ ، لأن السلطان ، كما كان يقال ، يخشى من رعاياه الاذكياء . وقد تألفت حوله حلقة من المنتفعين، من العرب وسواهم ، يطبلون له ويزمرون، ويعيشون عيشة الترف والرفاه على حساب وشاياتهم ، وموافقتهم لاهواء المليك المطاع ، وكان هو ، ككل حاكم مستبد ، لا يهنأ الا بقربهم ، ولا يستمع الا لارشاداتهم المتزلفة ، ولا تصل الى اذنيه الا عبارات المديح والاطراء لكل ما يقوله او يفعله . وهكذا انحدرت المملكة العثمانية الى حالة من الجهل والانحطاط والتخلف ، دون ان تتحسس بشيء من نهضة القرن التاسع عشر التي بدأت تعم العالم الغربي ، وتقطعت اوصال المملكة فتناثرت اجزاء ، ألّف كل جزء منها وطنا مستقلا . وكنا نسمع انه من بين اكبر مستشاريه ، كان العربيان الشيخ ابو الهدى الصيادي وعزت باشا العابد ، فكان الاول يستهوي السلطان بدروشاته ، وادعائه امامه باستحضار الانبياء والاولياء . ويقال انه كثيرا ما كان يومىء بسلام التعظيم الى شبح مجهول ، ويهمس للسلطان بأن النبي الكريم او الصحابي الفلاني مرّ امامه الآن ، اما الثاني فكان يوهمه بأنه يبطش بكل من تخول له نفسه الخروج على ارادة السلطان . وقد وصفه بعد ذلك الكثير من الكتّاب الاوروبيين الذين كتبوا سيرته بأنه كان جبانا يخاف على نفسه من خياله ، ويخشى على عرشه من اخيه الذي سجنه متهما اياه بالجنون ، لانه كان صاحب الحق بالملك قبله .

كما وصفوه بالمكر والدهاء واستعمال طرق التحايل والمداورة حتى كان يوقع في حبائله امهر سفرائهم ، فقد كانوا

Twitter: @abdullah1994